مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الحادي والأربعين- السنة الخامسة-2025م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
The forty-first- Fifth Year - 2025
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

من الإسناد إلى المتن:
قراءة في منهج هرلد موتسكي ونقده للفرضيات الاستشراقية حول الحديث النبوي

الباحثة ثورية القاسمي
باحثة في سلك الدكتوراه كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، جامعة الحسن الثاني
الأستاذ المشرف: الدكتور محمد اصبيحي

مقدمة

تتبوأ دراسة متن الحديث موقعًا محوريًا في بنية النقد الحديثي، إذ يُمثّل المتن - أي مضمون الرواية ونصّها - جوهر الرسالة التي يُراد نقلها عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ثم فإن تحقيق صحة هذه النصوص، وتمييز المقبول منها من المردود، لا يكتمل دون إخضاع متن الحديث لمقاييس التمحيص العلمي، سواء من جهة المعنى أو من جهة الأسلوب أو من جهة التناسق مع الأصول القطعية. وقد اعتنى المحدّثون المسلمون عبر القرون بالمتن، فجعلوا له ضوابط ومقاييس تُعَدّ مكملة للنقد الإسنادي، كما يظهر في قواعد النكارة، والشذوذ، وعرض الحديث على الأصول، ومخالفة الواقع أو العقل أو اللغة، وغيرها من الضوابط الدقيقة التي جمعها علماء الحديث في مصنفاتهم، مثل: علل الحديث لابن أبي حاتم (ت. 327هـ)، والعلل الكبير للترمذي (ت. 279هـ)، وفتح المغيث للسخاوي (ت. 902هـ)، وغيرها.

ومع بروز الاهتمام الغربي بالحديث النبوي في إطار الدراسات الاستشراقية، ساد اتجاه شكّي تجاه المتن، حيث تعامل كثير من المستشرقين مع النصوص الحديثية كنتاج متأخر من صنع المجتمعات الإسلامية الأولى، لا كمرويات نبوية أصيلة. وقد عبّر عن هذا التوجه رموز مثل: جوزيف شاخت (Joseph Schacht)، وجون وانسبرو (John Wansbrough)، وباتريشيا كرون (Patricia Crone)، الذين رأوا في المتون انعكاسًا لمتطلبات فقهية واجتماعية لاحقة، ما جعلهم يشككون في صدقيتها التاريخية. غير أن هذا الاتجاه لم يكن محل إجماع بين الباحثين الغربيين، إذ ظهر تيار أكثر اعتدالًا في طليعته المستشرق الألماني هرلد موتسكي (Harald Motzki)، الذي سعى إلى إعادة تقييم الحديث النبوي بمنهجية أكثر دقة، من خلال الاعتماد على أدوات تحليلية دقيقة في دراسة الإسناد والمتن، وفتح بذلك آفاقًا جديدة لفهم تاريخ الحديث.

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الحادي والأربعين- السنة الخامسة-2025م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
The forty-first- Fifth Year - 2025
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

تسعى هذه المقالة إلى إبراز تطبيقات هرلد موتسكي في تحليل متون الحديث، من خلال دراسة حديث معين، واستعراض نتائج هذا التحليل، ومقارنة منهجه بنتائج المدرسة الاستشراقية السابقة. وستُعتمد في ذلك مقاربة تحليلية مقارنة، تنطلق من قراءة نصّية دقيقة، وتستند إلى مؤلفات موتسكي الأساسية، وفي مقدمتها كتابه: Hadith: Origins and Developments (Routledge, 2004)، و The Origins of Islamic Jurisprudence: Meccan Fiqh Before the Classical Schools (Brill, 2002)، إلى جانب مراجعة الأطر النقدية في كتب المحدثين، مثل: النكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي (ت. 794هـ)، وتدريب الراوي للسيوطي (ت. 911هـ)، مع الاستئناس ببعض الدراسات المعاصرة، كأعمال جوناثان براون (Jonathan A.C. Brown)، ونورمان كالدر (Norman Calder).

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الحادي والأربعين- السنة الخامسة-2025م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
The forty-first- Fifth Year - 2025
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

أولا: الإطار النظري لتحليل المتون عند موتسكي

تميّزت الدراسات الاستشراقية الأولى في تعاملها مع الحديث النبوي بتركيز ملحوظ على عنصر الإسناد، حيث اعتبر كثير من المستشرقين أن الأسانيد تمثل مفتاحًا لفهم تاريخ نشأة الرواية الحديثية، ومن ثم فقد وجّهوا عنايتهم إلى تحليل سلاسل الرواة، بينما أهملوا – أو قللوا – من أهمية دراسة المتن. ومن أبرز ممثلي هذا الاتجاه جوزيف شاخت (Joseph Schacht)، الذي بنى أطروحته المركزية في كتابه The Origins of Muhammadan Jurisprudence (1950) على تتبع الأسانيد الفقهية إلى نهاياتها، زاعمًا أنها صُنعت بأثر رجعي لإضفاء الشرعية على آراء فقهية ظهرت لاحقًا. فبالنسبة لشاخت، لا يحمل المتن دلالة تاريخية يمكن الوثوق بها، لأنه – بحسبه – لا يقدّم سوى انعكاس متأخر للنقاشات الفقهية في العصر الأموي والعباسي المبكر، ولذلك ركّز تحليله على الطرق الإسنادية وحدها، مع إغفال واضح لأي تحليل داخلي لمضمون الحديث.[1]

في المقابل، أظهر بعض المستشرقين المتأخرين اهتمامًا نسبيًا بتحليل المتن، وإن ظلّ ذلك اهتمامًا ثانويًا أو توظيفيًا لخدمة فرضيات مسبقة. فـ وانسبرو (Wansbrough) وباتريشيا كرون (Crone) ومايكل كوك (Cook) لم يقدموا تحليلًا نصيًا دقيقًا لمتون الأحاديث، بقدر ما استخدموها كشواهد على البناء المتأخر للتقاليد الإسلامية. لقد نظر هؤلاء إلى المتون بوصفها نصوصًا "مشبوهة" ما لم تدعمها خلفية تاريخية أو سياق غير ديني. وقد أشار نورمان كالدر (Norman Calder) بوضوح إلى أن المتن الحديثي في نظر أغلب المستشرقين لا يمثل وثيقة تاريخية موثوقة، بل هو نتاج "تصورات فقهية لاحقة" يُفترض أنها أُلبست لباس النبوة. وهكذا فإن الفجوة بين الإسناد والمتن في الدراسات الاستشراقية التقليدية ظلت قائمة، إلى أن جاء هرلد موتسكي ليسهم في ردمها بمنهج علمي أكثر توازنًا.[2]

وقد أولى هرلد موتسكي (Harald Motzki) عناية خاصة بتحليل المتن في مشروعه النقدي الهادف إلى إعادة تقييم الحديث النبوي ومصادره المبكرة، مخالفًا بذلك المسار السائد في الدراسات الاستشراقية التي اقتصرت غالبًا على تحليل الإسناد فقط. فقد أدرك موتسكي أن الاقتصار على دراسة

[1] Joseph Schacht, The Origins of Muhammadan Jurisprudence, Oxford University Press, 1950, pp. 4–6.

[2] ينظر:

Norman Calder, "Studies in Early Muslim Jurisprudence", Oxford University Press, 1993, pp. 15–19.

Harald Motzki, Hadith: Origins and Developments, Routledge, 2004, pp. 1–3.

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الحادي والأربعين- السنة الخامسة-2025م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
The forty-first- Fifth Year - 2025
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

الأسانيد لا يكفي لاستيعاب البنية التاريخية للنصوص الحديثية، بل لا بد من اعتبار المتن شريكًا أصيلًا في عملية النقد، ومصدرًا غنيًا بالمؤشرات الدلالية التي تعكس الواقع الفكري والفقهي والاجتماعي الذي نشأ فيه الحديث. ومن ثم، اعتبر أن تحليل المتن لا يقل أهمية عن تحليل السند، بل يشكّل معه وحدة متكاملة تساهم في الحكم على أصالة الرواية، كما يظهر في مشروعه الموسوم The Origins of Islamic Jurisprudence (2002)، الذي شكّل نقلة نوعية في مقاربة التراث الحديثي من زاوية داخلية تعتمد أدوات المحدثين وتوظّف المناهج الحديثة.[3]

في كتابه Hadith: Origins and Developments (2004)، كرّس موتسكي فصولًا متعدّدة لتحليل المتون، ولا سيما في مقارنة روايات الزهري كما وردت عند معمر، وابن جريج، ومالك. وقد سعى من خلال تلك المقارنات إلى البرهنة على أن التشابه في المتون – رغم التباين اللفظي – يدل على وحدة المصدر وصدق النقل، وليس على التركيب أو الوضع كما ذهب إلى ذلك شاخت. لقد شكّل المتن عند موتسكي أداة مركزية لفهم تطور الرأي الفقهي، والتفاعل بين الرواة وشيوخهم، والسياق الذي أنتج الرواية. وبذلك تجاوز موتسكي الفرضية التفكيكية التي رأت في المتن مجرد انعكاس متأخر، وجعل منه مكوّنًا دالًا يُحلّل ضمن معطيات الزمان والمكان وسلوك الرواة، مما أهّله لتأسيس منهج نقدي أكثر توازنًا بين السند والمتن.[4]

والجدير بالإلماع أن هرلد موتسكي انطلق في مقاربته النقدية للمتن من فرضية مركزية ترى أن دراسة المتون الحديثية لا تكتفي بإثبات صحة الرواية فحسب، بل تتيح كذلك فهمًا أعمق لمسار تطور الفقه الإسلامي في مراحله الأولى. فعند تحليل متون الأحاديث، لا سيما تلك المتعلقة بالأحكام الفقهية، يتبيّن لموتسكي أن المتن يُعبّر عن لحظة فقهية تاريخية محددة، تعكس جدلًا علميًا أو اجتماعيًا معينًا، وهو ما يجعله وثيقة دالة على تاريخ الفكر الفقهي بقدر ما هو أداة لنقد الرواية.[5]

في تحليله لمدونة الزهري كما وردت في مصنف عبد الرزاق، عدَّ موتسكي أن دراسة المتون التي تتضمن آراء الزهري أو من ينقل عنهم، تمكّنه من تتبع التحوّلات التدريجية في الرأي الفقهي، مما يساعد في

[3] Harald Motzki, The Origins of Islamic Jurisprudence: Meccan Fiqh Before the Classical Schools, Brill, 2002, pp. 11–15

[4] Harald Motzki, Hadith: Origins and Developments, Routledge, 2004, pp. 38–42.

[5] Motzki, Hadith: Origins and Developments, 2004, pp. 73–75

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الحادي والأربعين- السنة الخامسة-2025م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
The forty-first- Fifth Year - 2025
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

رسم صورة متكاملة عن تشكّل الفقه قبل المدارس الفقهية الرسمية. وأبرز مثال على ذلك تناوله لمسألة "نكاح الحرة على الأمة"، حيث بيّن أن اختلاف الصيغ بين رواية معمر ورواية ابن جريج لا يدل على التناقض أو الوضع، بل يُظهر كيف أن الرأي الفقهي كان قيد التطور في بيئة شفهية، واستند في ذلك إلى المقارنة الدقيقة بين الألفاظ والمعاني في الروايتين.[6] بهذا الشكل، يصبح المتن عند موتسكي نافذة لفهم النسق الفقهي الناشئ، أكثر من كونه مجرد مادة سردية تابعة للإسناد.

[6] Motzki, The Origins of Islamic Jurisprudence, 2002, pp. 115–117

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الحادي والأربعين- السنة الخامسة-2025م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
The forty-first- Fifth Year - 2025
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

ثانيا: دراسة تطبيقية لحديث نكاح الحرة على الأمة

من أبرز النماذج التطبيقية التي وظف فيها هرلد موتسكي منهجه في تحليل المتون، دراسته لحديث نكاح الحرة على الأمة كما ورد بصيغتين مختلفتين عن الزهري، إحداهما في رواية معمر بن راشد، والثانية في رواية ابن جريج، وكلاهما في *مصنف عبد الرزاق* .إذ تنقل الرواية الأولى عن معمر قول الزهري: «لا بأس بأن يُنكح الحرّة على الأمة ولا تُنكح الأمة على الحرّة...»، مع تفاصيل تشريعية دقيقة حول حقوق الزوجات وتخيير الزوجة الحرة في حال عدم علمها بزواج زوجها من أمة. أما رواية ابن جريج، فهي أكثر اتساعًا في الألفاظ، لكنها تحمل ذات الجوهر التشريعي، إذ جاء فيها على لسان الزهري: «عن الحرة تُنكح على الأمة، أن السنة فيها... أن لا ينكح الحرة على الأمة...»، وتنتهي بنفس الأحكام تقريبًا من حيث تخيير الزوجة الحرة، وتقسيم النفقة، والعقوبة في حال مخالفة الشرط.[7]

يرى موتسكي أن هذا التباين الأسلوبي بين الروايتين لا يدل على تناقض جوهري في المضمون، بل يُعبّر عن ظاهرة طبيعية في بيئة التعليم الفقهي الشفوي. إذ يلاحظ أن رواية معمر تتميز بالصياغة التعليمية التقريرية، حيث يُسند النص غالبًا إلى جواب على سؤال، مثل: «سألت الزهري عن... فقال...»، وهو أسلوب يكشف طبيعة التلقي المباشر وتدوين الملاحظات خلال الدرس. في المقابل، تظهر رواية ابن جريج بصورة أكثر تأدبًا ونقلًا عن رؤية الزهري دون تدخل مباشر، مما يعكس اختلاف أسلوب التدوين وليس تضارب المعنى.[8]

ويُفسّر موتسكي هذه الظاهرة في ضوء معرفته بسياق التعلّم الفقهي في القرن الثاني الهجري، حيث لم تكن المرويات تُنقل بالضرورة على هيئة نصوص مملاة حرفيًا، بل كانت تُستخلص من حلقات الدرس والمناقشة، فتُدوّن لاحقًا بأسلوب الراوي وتعبيره. ولهذا فإن التباين في اختيار الألفاظ، أو طول الرواية، لا يُعد طعنًا في أصالة النص، بل مؤشرًا على مرونة التلقي والتدوين آنذاك. وهو ما يعزز من مصداقية الرواية بدلاً من إضعافها، إذا ما تكرر المضمون الفقهي من طرق مختلفة ومستقلة، كما هو الحال بين معمر وابن جريج.[9]

---

[7] Motzki, *The Origins of Islamic Jurisprudence*, 2002, pp. 115–117.

[8] Motzki, *Hadith: Origins and Developments*, 2004, pp. 76–78

[9] cf. Motzki, *The Origins*, p. 118

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الحادي والأربعين- السنة الخامسة-2025م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
The forty-first- Fifth Year - 2025
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

من هنا يصل موتسكي إلى نتيجة مفصلية، وهي أن الاختلاف الأسلوبي لا يُسند بالضرورة إلى الوضع أو التركيب، كما ذهب إلى ذلك شاخت وغيره من المستشرقين، بل هو سمة طبيعية للنقل الشفوي القائم على الاستيعاب والتحرير. فحين تتطابق الدلالة الفقهية وتتقارب تراكيب النصوص رغم تعدد رواة الزهري من بيئات مختلفة (صنعاء، مكة، المدينة)، فإن ذلك يعزز من فرضية أصالة المتن ويُسقط دعوى التواطؤ أو الاختلاق.[10] ومن ثم، فإن تحليل المتن في هذا المثال لا يبرهن فقط على موثوقيته، بل يفتح المجال لفهمٍ أعمق للكيفية التي نُقلت بها المعرفة الفقهية في بدايات التدوين الإسلامي.

[10] Motzki, *Hadith: Origins and Developments*, pp. 79–80

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الحادي والأربعين- السنة الخامسة-2025م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
The forty-first- Fifth Year - 2025
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

ثالثا: أثر تحليل المتون في دحض الفرضيات الاستشراقية

شكّلت فرضيات المستشرق جوزيف شاخت (Joseph Schacht) حول المصطنعية والزيف في الروايات الحديثية حجر الزاوية في كثير من الدراسات الغربية، حيث افترض أن معظم الأحاديث التي نُسبت إلى النبي ﷺ قد تم اختلاقها لاحقًا لأغراض فقهية أو سياسية، وأن أسانيدها أُضيفت بشكل رجعي لإضفاء الشرعية عليها. غير أن هرلد موتسكي تصدّى لهذه الفرضيات بنسق علمي صارم، مرتكزًا على تحليل المتون ضمن سياقاتها التراكمية والمقارنة. فقد سعى إلى اختبار مدى التشابهات بين الروايات في مصادر مستقلة ومتباعدة، مثل مصنف عبد الرزاق وموطأ مالك، ليثبت أن التكرار في المضمون وتنوّع الصياغة لا يعكسان اختلاقًا متأخرًا، بل يشيران إلى أصالة روايات دُوّنت بناءً على تفاعل شفوي حقيقي، وتعلّقٍ بمضامين فقهية واقعية وحيّة.[11]

وقد اعتمد موتسكي ما يُعرف بـ"التحليل التراكمي للمصادر" (cumulative analysis of sources)، من خلال تتبّع الرواية الواحدة كما وردت في عدة مصنفات، وتحليل طرق النقل، وسلاسل الرواة، والمضامين النصية. فعند دراسته لمرويات الزهري في مصادر ثلاثية مستقلة: معمر، وابن جريج، ومالك، لاحظ أن نسبة كبيرة من المتون تتطابق أو تتقارب بدرجة عالية، رغم اختلاف البيئات الجغرافية التي نشأ فيها هؤلاء الرواة، وهو ما يتعذّر تفسيره في ضوء فرضية "الاختلاق المنهجي" التي تبنّاها شاخت. وقد أشار موتسكي إلى أن هذا التطابق لا يمكن أن يكون وليد صدفة أو تواطؤ، بل نتيجة نقل شفوي أصيل ومستمر، دعمه الاستيعاب الفقهي والاجتهاد العملي داخل المدارس الأولى للعلم.[12]

وفي ضوء هذه المعطيات، أعاد موتسكي قراءة ما يُعرف بـ"الروايات الموازية" (parallel traditions)، تلك التي تتناول ذات المسألة بعبارات متباينة أو سرد مختلف، مبينًا أن هذه التباينات غالبًا ما تعكس تعدد طرق التعبير، وليس اختلافًا في المحتوى أو تناقضًا في الرأي. على سبيل المثال، في حديث الزهري حول نكاح الحرة والأمة، تتفاوت العبارات المنقولة عن معمر وابن جريج، إلا أن الحكم الفقهي

[11] Motzki, The Origins of Islamic Jurisprudence, 2002, pp. 142–145

[12] Motzki, Hadith: Origins and Developments, 2004, pp. 81–85

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الحادي والأربعين- السنة الخامسة-2025م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
The forty-first- Fifth Year - 2025
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

الوارد فيهما واحد في جوهره، مما يضعف فكرة "الوضع المُوجَّه" (forged attribution) ويقوّي فرضية النقل الواقعي والمباشر من حلقات التعليم الفقهي.[13]

وعلى هذا الأساس، قدّم موتسكي نقدًا مباشرًا لأسس نظرية شاخت، موضحًا أن إغفال المتن، وعدم اعتبار السياقات الاجتماعية والتعليمة للنقل، جعل من نظريته افتراضًا غير قادر على تفسير ظواهر الاستقرار النصي والتقاطع في الروايات. ومن خلال هذا النقد، ساهم مشروع موتسكي في إعادة الاعتبار للمتن الحديثي كأداة منهجية في الردّ على الشكوك الاستشراقية، وأثبت أن الجمع بين المتن والسند في إطار تحليلي تراكمي يُعيد بناء ثقة معقولة بالنقل الإسلامي المبكر، بعيدًا عن المقولات الأحادية التي طغت على الدراسات الغربية لعقود.

رابعا: تحليل المتن كأداة لفهم تطور الرأي الفقهي

إن أحد أبرز أوجه الابتكار في منهج هارلد موتسكي في دراسة الحديث النبوي يتجلى في توظيفه لتحليل المتن بوصفه أداة لفهم تطور الرأي الفقهي، لا مجرد وسيلة للتحقق من صحة الرواية أو ردّها. فقد لاحظ موتسكي، من خلال مقارنته لروايات متعددة عن الزهري، أن اختلاف التعبيرات وتعدد الألفاظ في نصوص الأحاديث لا يشير بالضرورة إلى وجود تركيب صناعي أو تزوير، بل يعكس في الغالب تطورًا طبيعيًا في نقل المعرفة الشفوية ومرونة الأسلوب في عرض المعاني الفقهية. ويؤكد موتسكي على أن التغيرات الطفيفة بين نصوص الأحاديث التي تتناول نفس المسألة الفقهية – كما في مثال نكاح الحرة على الأمة – إنما تعكس اختلافًا في أساليب التلقي أو التدوين، ولا ينبغي أن يُتخذ دليلًا على عدم أصالة النص.[14]

كما لاحظ موتسكي تباينًا في آراء الزهري بين فترات زمنية مختلفة، مما يدل على أن مواقفه الفقهية لم تكن جامدة أو مطلقة، بل كانت خاضعة للتطور والاجتهاد بحسب مقتضيات السياق التاريخي والمعرفي. ويعد هذا المنظور أحد الإسهامات المنهجية المهمة لموتسكي، إذ إنه يعيد الاعتبار لفكرة "التدرج الفقهي" لدى التابعين، ويمنح رواياتهم بعدًا إنسانيًا وحركيًا، يبتعد عن التصورات التي تفترض جمود النصوص أو تركيبها بشكل لاحق. فموتسكي يرى أن روايات الزهري التي تحمل آراء متغايرة في قضايا

[13] cf. Motzki, Origins, pp. 150–153

[14] Motzki, Hadith: Origins and Developments, p. 98

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الحادي والأربعين- السنة الخامسة-2025م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
The forty-first- Fifth Year - 2025
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

معينة ينبغي أن تُفهم في ضوء تغيرات بيئته الاجتماعية والسياسية، لا أن تُرفض باعتبارها ملفقة. وقد أشار إلى أن مثل هذا التباين ليس خاصًا بالزهري، بل هو ظاهرة علمية معتادة في تاريخ الفقه الإسلامي، تتجلى عند كبار الأئمة أيضًا، كما في تباين الروايات عن الإمام مالك أو أبي حنيفة.[15]

وفي ضوء ذلك، فإن تحليل المتون وفق هذا المنهج لا يؤدي فقط إلى تعزيز الثقة في الروايات، بل يسهم أيضًا في بناء تصور أكثر واقعية وديناميكية لتاريخ الفقه الإسلامي. وهو ما يتقاطع مع ما أشار إليه عبد الفتاح أبو غدة في مقدمة تحقيقه لكتاب "الرفع والتكميل"، حيث اعتبر أن فهم الفقه لا يكتمل دون إدراك التدرج في الرأي والاجتهاد عند العلماء، وضرورة عدم الحكم على اختلاف الروايات بظاهرها دون فهم ملابساتها وسياقاتها العلمية.[16] بهذا، يفتح لنا موتسكي بابًا جديدًا لقراءة الأحاديث الفقهية باعتبارها تجليات حية لنشاط علمي متجدد، لا مجرد نصوص صمّاء ينبغي اختبارها بمعايير ظاهرية.

[15] Motzki, The Origins of Islamic Jurisprudence, p. 115

[16] الرفع والتكميل، ص 28.

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الحادي والأربعين- السنة الخامسة-2025م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
The forty-first- Fifth Year - 2025
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

خاتمة

أظهرت هذه الدراسة كيف أن التحليل المتني، عند هرلد موتسكي، يشكل ركيزة أساسية في مشروعه النقدي لتقويم الحديث النبوي، لا يقلّ أهمية عن دراسة الأسانيد. فقد تبيّن من خلال دراسة تطبيقية على حديث نكاح الحرة على الأمة، أن موتسكي استطاع، عبر مقارنة الروايات المتوازية، أن يستخلص من تباين الألفاظ وتطابق المضمون دليلاً على أصالة المتن لا على زيفه. كما اتضح أن تحليله للمتون أسهم بشكل فعّال في دحض الفرضيات الاستشراقية التي شككت في صدقية الحديث النبوي، وعلى رأسها فرضية التركيب أو الوضع التي شاعت مع جوزيف شاخت.

وإلى جانب ذلك، قدم تحليل المتون عند موتسكي فهمًا متقدمًا لتطور الرأي الفقهي عند التابعين، وخصوصًا الزهري، حيث كشف عن مرونة اجتهادية طبيعية، لا افتعال مصطنع، ناتجة عن التدرج المعرفي واختلاف السياقات. وقد تميز هذا المنهج بتكامله مع أدوات تحليلية متعددة: الإحصائية، والسياقية، والنقدية، مما أكسبه عمقًا علميًا وأتاح له تجاوز الأحكام الانطباعية.

وبناءً عليه، فإن منهج موتسكي في تحليل المتون يقدم نموذجًا علميًا يستحق أن يُدرس ويُستثمر في الدراسات الحديثية المعاصرة. كما يُوصى بتوسيع نطاق هذه الدراسات لتشمل نماذج أخرى من المتون، ومقارنة منهج موتسكي بمناهج عربية تراثية ومناهج نقد حديثية معاصرة، بما يسهم في إعادة بناء ثقة منهجية في المادة الحديثية من خلال أدوات علمية رصينة، تحفظ خصوصية التراث وتستفيد من المناهج الأكاديمية الحديثة في آن واحد.

مجلة أطلنتس: مجلة دولية محكمة- المملكة المغربية - العدد الحادي والأربعين- السنة الخامسة-2025م/1446هـ
Atlantis Magazine: A peer-reviewed international journal - Kingdom of Morocco
The forty-first- Fifth Year - 2025
The magazine has an international registration numberالمجلة تحمل رقم تسجيل دولي
E-ISSN: 2820-7416
رقم الإيداع القانوني ISBN:2021P0050 رقم ملف الصحافة Press No:م2021-01

لائحة المصادر والمراجع:

- ابن أبي حاتم. (د.ت). العلل. تحقيق: المحقق، دار النشر.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (1975). النكت على كتاب ابن الصلاح. تحقيق: ربيع، ع. (ط. 1). القاهرة: مكتبة الخانجي.
- أبو غُدّة، عبد الفتاح. (1982). صفحات من صبر العلماء. دمشق: مكتب المطبوعات الإسلامية.
- الترمذي، محمد بن عيسى. (د.ت). العلل الكبير. تحقيق: المحقق، دار النشر.
- الدارقطني، علي بن عمر. (د.ت). العلل. تحقيق: المحقق، دار النشر.
- السيوطي، جلال الدين. (1996). تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف. بيروت: دار الكتب العلمية.
- Brown, J. A. C. (2007). The Canonization of al-Bukhari and Muslim: The Formation and Function of the Sunni Hadith Canon. Leiden: Brill.
- Graham, W. A. (1987). Beyond the Written Word: Oral Aspects of Scripture in the History of Religion. Cambridge: Cambridge University Press.
- Juynboll, G. H. A. (1983). Muslim Tradition: Studies in Chronology, Provenance and Authorship of Early Hadith. Cambridge: Cambridge University Press.
- Motzki, H. (2002). The Origins of Islamic Jurisprudence: Meccan Fiqh Before the Classical Schools (M. Charfi, Trans.). Leiden: Brill.
- Motzki, H. (2004). Hadith: Origins and Developments. Aldershot: Ashgate (The Formation of the Classical Islamic World).
- Pavlovich, P. (2015). Authority, Privacy and Public Order in Islam: Proceedings of the 22nd Congress of L'Union Européenne des Arabisants et Islamisants. Leuven: Peeters Publishers.